ثقافة وأدب

ادب الخامس من حزيران وكل يوم ..

احدهم يقول : « سيكون وصفي لزهرة ، وصفا تربينيا وجماليا مفرغا ، اذا لم يكن لدي موقف واضح محدد ، من الخيانة الزوجية ، مثلا »..
وكان بيكاسو قد قال يوما ومن حق : « بغير البندقية استطيع ان اعبر عن المقاومة ، برسمي تفاحة ، مثلا ... »

ومنذ هزيمة حزيران ، والنقاد العرب يفتشون بحمية وغيرة عن اثر اليوم المشهود في نتاج الكتاب العرب ، اثر احتلال اراض عربية جديدة ، وهزيمة الجيوش العربية التي اشتركت في لمك العرب ، والتي « لم تشترك » .

وسرعان ما تحولت الانظار الى المقاومة الفلسطينية ، باعتبارها نقطة تحول وانعطاف مصيري . وايضا سرعان ما تدفقت النماذج القصصية والشعرية ، التي « فجر كوامنها »ذلك الحدث العظيم ، لكن ذلك التزف استمر لاقل من سنتين . ولم تلبث ان انحسرت تلك الموجة التي رات في العمل الفدائي : فروسية عسكرية تاريخية . انحسرت وذهبت مثل الزبد ، جفاء ، وذهبت معها تلك المواهب « المؤقتة » والفجائية .

اما اولئك النقاد الذين لا حيلة لهم ، سوف التحريض الاخلاقي على الالتزام بالواقع وعدم الاضلاع عنه ، وتاريخ المعارك البطولية التي تخو فيها امتنا ، فقد آن لهم ان يسكتوا .
لان الواقع اولا اعمد ، كما يقال ، من ارنبة انوفهم .
ولان واقع الصراع مع اسرائيل ، هو اقرب من الاصطدام المباشر – غير الحاصل رسميا – معها .

ان ذلك الصراع يتخذ تعبيراته الملموسة ، في الحياة اليومية لجماهيرنا . في تناقضها مع الانظمة التي تمنعها من القتال ، وتمنع عنها الكرامة الوطنية ، وتمنع اشواقها الى الخبز والديمقراطية من ان تتحقق . كما ان ذلك الصراع يعبر عن نفسه ، بتناقض حاجاتوتطلعات جماهيرنا ، مع الثقافات السائدة التي تفرزها الطبقات السائدة (ارادة الاستعمار من ارادة الله ، كما في ادبيات الانظمة الرجعية) . بصراع جماهيرنا مع قيم التخلف ومنوعات القمع التي تعرضها انظمة الهزيمة ، في وجه تسرب قيم المجتمعات الاشتراكية .

ان ادبنا الثوري يقف عند هذه الموضوعات ، ويشتبك معها يوما ، ويعانيها كل لحظة ، ويجهد في ان يعبر عنها .
لكن نقادنا المعجونين من الخاص من حزيران بدرون قيهرهلكل ما عدا ارادة القتالوالبطولة.. اياها ، التي « تاكد » من ازمة اقوام .
ان الحدث في ادب مقاومة ، معزولا عن البنية الطبقية لمجتمعاتنا واطمة حكمها ، اشبه بالغلو.

فثمة العلاقة الشائكة المعقدة ، والعميقة بين التحرر الوطني الداخلي الناجز ، وبين التناقض مع الاستعمار الاجنبي . وفي هذا المجال ، يجدر القول ربما على المتسائلين عن سبب عدم ظهور اعمال فلسطينية تمثل ماساة فلسطين وارادة المقاومة فيها ، بان الفلسطينيين عانوا ويعانون من الاحتلال الصهيوني ، كما لم يعان شعب محتل اخر ، حب اكثر من تعسفهم محتل ، خارج ارض الاحتلال . وحب تناقضهم مع العدو التقليدي ، عبر عن نفسه بتناقضات يومية في « الداخل » ، ادى تراكمها الى اتخاذها شكل تناقض اساسي .
وسقى للادب والفن الثوري ان يعبرباوسع عيونه ازمة الحياة اليومية التي تعانيهاجماهيرنا ، في مواقع الحاضر . وعندها سيتسع ان يشهد على المقاومة الباسلة من نحب ، ويشارك في تصور الحياة القريبة ، المنهوبة ، والصعبة .

(المحرر)

وشم على ذراع خضرة :

شفافية الموضوع وغنائية الموقف

بين الشعر الذي اشتر منذ اربعة اعوام ، غداة هزيمة حزيران ، بحتل ديوان وليد سيف « وشم على ذراع خضرة » مكانة فريدة ومتقدمة ، تجعله في الصف الاول من الشعر الفلسطيني . فقد تمكن هذه المرة ، ان ينتقل من الشفافية المجانية والغنائية اللفظية كما في دواوينه الاول « قصائد في زمن فتح » الى شفافية الموضوع ، وغنائية الموقف . بذلك تحولت اشعاره الى استيعاب عميق لهذه الخصائص الفنية ، عوض الاتكاء عليها كاسباب اساسية للعملية الفنية ، في غيبة الحضور العضوي لمادة القصيدة : الرؤيا التي يحملها ويكثفها الموضوع . بذلك ايضا ، بدا شعر وليد سيف يخرج من « الوهم الشائع » القائل بان القصيدة هي محض غناء ، وان الغناء لا يحتمل اكثر من الغرف المنفرد على القلب ، والذي يرفض الاجابة على سؤال حيوي مثل « ماذا تقول القصيدة ؟ » . لقد كان للارتداد نحو الغنائية العفوية ، اسباب ترجع الى سيادة متوعات الشعر الجديد التي تعتمد تفتيت الحس ، ونشر الانفعال . والى الرغبة في الخروج من هذه الحلقة المقفلة ، حيث لا يفقد الشعر فقط خصيصته الاساسية كلغة للانارةالشعورية و « الحسية » ، بل يفقد الى ذلك « شرف »الرؤيا ، اذ يتزلق الى « الصدق » السطحي ، الذي يعبر عن نفسه باطلاق الشارات الثقافية الشكلية ، دون تمثل.
ولكن مقابل ذلك ، شاع وهم اخر وهو تجريب البساطة (الانتقال الى منطقة ريف المشاعر ..) ، لكن هذه البساطة ، سرعان ما تقع في السذاجة، اذ تستعير التقرير من النماذج الحديثة (كتوكيد على المباشرة العفوية والخطابة القلبية) ، ومن جهة اخرى تترك القصيدة نهبا لفراغ الموضوع وهشاشته . باعتماد هذا المنحى كان الشعر يغادر طبيعته ، كاحتجاج على ما هو كائن (ماركوز) ، ويفقد امتياز النبوءة التي تنهض على اعتماد دفع القوى التاريخية وكفاحها .

ووليد سيف في « وشم على ذراع خضرة » ، يجهد في ان يحتفظ بغنائية لا تسقط في كسل البساطة ولا ثرثرة العذوبة . وفي الوقت ذاته ترسم قسمات خاصة للوطن « الفاتن » تستمد ايقاعها من دخول الفلسطيني في تجربة الموت « الاخضر » . الموت المشبوب بالبطولة والحياة . وجهد الشاعر جدير (او قمين ..) بالترحاب كما سنرى .

تعتمد قصائد الديوان في معظمها على النشيد الفردي ، الذي يؤديه « الفارس » (صوت الشاعر) . وليس يكفي ، القول بان الفارس هو عاشق الارض . ذلك انه يستعير ويتقمص اصوات غيره من ابناء الوطن ، ويمزج صوته المتفرد بالصوت الجماعي ، الامر الذي لا يجعل القصيدة متعددة الاصوات فحسب ، ولكنه يضفي على قرارة صوت الشاعر ، نبرة الجماعة واحتشادها . وهذا من شانه ان ينقذ القصيدة من « الزخم الرومانسي » الذي يجعل الشاعر يقف خارج موضوعه . خارج الوطن . الشاعر مقابل الوطن ، الوطن بالنسبة الى الشاعر (اي بالنسبة الى قرديه) .

مغنونا بالموت
استسلم للمطر اللاذع والاعشاب
من يحمل عني هذا الفرح الوحشي
هذا العشب الطافح من جرحي البري
• • •
خلف طيون الفرح الحارق
سنسلم احد الابطال
لتسقط كمي في عوة وادي

متعلة بالحضرة والموت !!

قد تصدم بعضناهنا قولة الشاعر «سنسلم..» على ان بيان الشاعر للعلاقة القائمة والمي الوهم ، ان خضرة ، هي سبب خضرة الشاعر في هوى وطنه الذي يلهب مشاعره . وهو اذ يموت ، فانه يجرد من شخصه شخصا اخر : تسقط كفه ممثلة بالخضرة والموت . والشخص الاخر هو الفدائي الدائم القيامة ، الذي يلازم عنده الموت والحياة . ذلك ان البطل ليس فارسا معزولا ، بل هو جزء من جسم الوطن ، ذلكاقترن « استسلام » هذا الجزء من الجسم بسقوط كف صاحب الصوت ، الى وادي الخضرةوالموت. حيث ينشق الموتابدا ، عن حياةجديدة واخضرار اخر .

●

في قصيدته « اعراس » لجا الشاعر الى استخدام رموز فولكلورية ، وأنخذ من اهم عناصر الفولكلور « الاغنية الشعبية » مادة لقصيدته. زيد الياسين ابن القرية ، الرجل الفلاح ، ضمير بطولة الشعب . خضرة ، ابنة القرية ، الصبية التي تتقاسم مع الارض ، حياة الفلاح وا شواقه .

« زيد الياسين »
سكونا بالرعتر والماسة
سكونا بعصافير الد
وبعض وجوه الموتى
• • •
وهي على الشرفة تحلم
خضراء الشعر وحمراء الشانين
توقد في صمت القرية اسطورة
تحمل رذاذا احمر
في قلب الناطور النائم
وتخط على كل الحيطان ...
موال فتوة ،
عن موسم عام قادم

وسيكون لنا ان نعرف ذلك الحوار الزاخر القديم بينهما . فبعد ان يبدأ الشاعر حكايته « بالتعريف » بهما ، وجمعهما معا دون تقابل . تبدأ العلاقة بين الرجل والصبية تتكشف .

حين تعرت في ضوء القمر المتجري
نقر الدوري من النباية فشة
وجرى القيم على فطره الربع الشتوية
حين تعرت
وانحدر الشال على القدمين
خرج الليل من صمت الحدران .

ما الذي يبرر استخدامه لتعري الصبية ، للتعبير عن « العلاقة الصعبة » بينها وبين زيد الياسمين ؟

ان الشاعر في ظني ، يستخدم ذلك للتدليل عن العشق القائم بينهما : الصبية تتعرى في هداة طلوع القمر ، اذاً الرجل في لحظة الاشتياق الجامح لها . الصبية تتعرى ، اذاً الرجل بعيد عنها . اي انه يكافح للوصول اليها ، ان الشاعر بذلك ، انما يريد بالدرجة الاولى ان يعري العالم الداخلي لزيد الياسمين ، حيث هو في لحظة النفي والانقطاع عنها . وحيث هو يناضل للاجتماع بشقه الثاني : الصبية فرح القرية . والقرية الملتئمة باسرارها العميقة .

لسعت قدماها صرع الارض العطشانة
فسما الصاع الري على كل الحدران
وفار العرق الدافيء فوق الخدين
« يا حصرة »
ما زالت تركض حصرة
احمل ما كانت تركض مهرة .

قد تكون المراة هنا نموذجا لصبية القرية ، الحلوة المشوقة . لكنها اذ تتوقف عند هذا الشان ، تصغر القصيدة الى قصيدة لمنزل ، مقرونة باحد الابطال ، اذا اراد ان يعزل هذا الوصف المرير عن مجمل الصوره . ان البطلواقع في هوى وطنه الذي يلهب مشاعره . وهو اذ يموت ، فانه يجرد من شخصه شخصا اخر : تسقط كفه ممثلة بالخضرة والموت . والشخص الاخر هو الفدائي الدائم القيامة ، الذي يلازم عنده الموت والحياة . ذلك ان البطل ليس فارسا معزولا ، بل هو جزء من جسم الوطن ، ذلكاقترن « استسلام » هذا الجزء من الجسم بسقوط كف صاحب الصوت ، الى وادي الخضرةوالموت. حيث ينشق الموتابدا ، عن حياةجديدة واخضرار اخر .

قرب المخفر
ظل منقوب اخضر !
وجراح مزروعة !

في الحكاية (الحادثة) الثانية يقبض «الفرس الليلي ، اصحاب القمصان الخشنة » على زيد الياسمين ، بعد ان انكسرت قدمه وهو يتجه الى التلة ، حتى يقابل الاعداء ، الذين يستهدفونه .

حين انكسرت قدم الفارس
سال على التلة خيط احمر
وانتشرت في الدنيا رائحة الزعتر .

ونعرف ان الحادثة ، جرت لزيد الياسمين في عمان . واذ يسال اهل القرية عن رجل البيت الذي غادر ولم يرجع ، تجيبنا الاغنية الشعبية :

(ياورودة يا مجوهرة شكالك وين
– شكالي ع عاتو سرى في الليل)
ياورودة يا مجوهرة شكالك راح
شكالي ع عاتو سرى مصباح) .

من وديان القرية المعتمة الى مخفر الامن ، تتوقف رحلة الفلسطيني ، وهو يسري بصوت البطولة الى وطنه . لكن زيد الياسمين الا يقبع في السجن ، فان ثورة شعبه تظل دائمة اللهب ، تشتعل ا شياء وطنه وطنه جميعها باللهب .

لم يسال احد ماذا صارت ...
الدهشة
في معصم « خضرة » !
(بعض رصاص ، ونشيد حماس ... وزوادة)

وكما « استسلم » جسد احد الابطال ،لهون كف صاحب الصوت في الوادي ، متلئة بالخضرة والموت ، تنقبض كف زيد الياسمين وتسقط ما تقبض الكف المدودة
تسقط في قاع العالم
تنفتح عشبا يربا وصابا
شعرا ورصاصا وحكايا .

●

الذين يمكن ان يتحدثوا ، عن تاثيرات وقع فيها الشاعر من لوركا الاسباني ، عليهم ان يحتفاوا شاعر بهذه في ان يعيد صياغة لوركا بقصائد فلسطينية . وعليهم – اذا كانوا قد قراوا لوركا بلغة موطنه التي كتب بها. ان يكشفوا عن الصلة الحميمة بين تاثرات الشاعر وبثه الآسر للاغنية الشعبية داخل جسم القصيدة ، انالهم في هذا الموضوع هو مدى احتفاء الشاعر المتاثر بصوته ، ومدى تغييبه عن شخصية له . فالتاثر والتاثير قانونان منذ كان الفن . فمن يدعي ان ((وشم على ذراع خضرة)) شعر اسباني ؟ ومن يدعي ان وليد سيف يكرر شبيها له في شعر فلسطين ؟.

(م . سفيان)

قصيدتان

شعر : محمد القيسي

– ١ –

لونٍ وجهك هذا المساء
على صفحه الذاكره
موت السنابل ،
جوع العصافير ،
انك في لحم وقتي
اكبر من خاطره .

– ٢ –

يا حبة القلب ،
تعصر الثواني
الدقائق ؟
بعد نهار
بيدان ، نعبر تيه المنافي
يا لهب الحرائق !

– ٣ –

سحاب النهار
عن ناظري المراكب ؟
في داخلي الليل ،
كل الشموع ولا ،
.. امضي
بين يدي الحقائب .

– ٤ –

لئن كان هذا زمان الاسى
وموت المواويل تحت
سياط الظهيره
فكيف لمن شاخ ان يشتهي
عناق الالى غيبوا
في طوابا الحريق
وكيف تكون الطريق ؟

وما بيننا يا اسيره
ركام من اللحم ، نهر دم
من ضحايا
واخفيت وجهي ،
هو البعد يدنو
لعينيك هذي الصلاة ،
وهذي الاغاني الكسيره .

– ٥ –

الا انني اوجز الان ،
كل فصول الروايه
فلم يسئلوا بعد
ستار الختام

ولكن احس بان البطل
سيخدع قبل حلول الظلام
وها انذا يا نيام
اصبح : حذار ، حذار .

١ – ١ – ١٩٧١

امور تتعلق بها خاصة

تدفق نهر اغان ،
على شفتيك ، فاسندت
راسي
واغفوت حينا .
على شرفة الحلم ،
انصت ، (كنت حزينا)
فتابعت : ان المساء جميل
وهذا الهوى لو يدوم
فايقظني من الهموم
وكانت جدائل شعرك
بين يدي ،
وفوق جبيني
ترانيل حزن ، وحقل سنابل
فدانيت وجهك ،
زخ رصاص .
على قارعات الطريق
بكل اتجاه
وانت شبابيك جدراننا
تحت نار الجنود
فسبع رؤوس تشب
بها النار ،
كانت تغني ليوم الخلاص .
وغالوك يا مهرتي ،
ما انكسرت ولكن .. آه ،
وآه ،
وآه .

٢٦ – ٤ – ١٩٧١
– بيروت –

• خارجي مسافر .. وداخلي طريدة

اي ولا في داخلي اخضرار
لتني كغيمة قدرها في صدرها
الثني ..
احمل هذا الكون في عيني ...
لتل النجوم من مدارها
ولولي جبهتك
اكتب بالاصابع المشتاقة
نهارك الجديد
التي على شفاهه السعيدة
نمسا من الجحيم والجليد
ابتدىء بخلق كل ما اعرفه
طافلة جديدة اسماءها
الليل صار ظل ..
واليأس فسحة
والارض مثل شجرة
تطق عمري على اوراقها
سلمه الحياة للحياة
يا وطني : يا حبرتي البعيدة ... البعيدة
امشي اليك خارجي مسافر
وداخلي طريدة
زخ من اصابعي سخرية
وشتوي في اضلعي سراج
يا ربح يا حمالة الهزيمة
لن تحفري عينيك فوق الماء
لن تصيري القادم الجريء
انا الذي يسمي الاسماء

وانت صيفتي التي سميتها الهواء
تفتني ... تفتني .. وانصهري تحديا
وانتحري في البحر واخرجي من قلبه عذراء
تلاحمي كالارض صبري لجمة وانحدري
شرياني الظمان سوف يشربك
وفي دمك ...

سافسل الخطيئة التي
تكاد ان تصير شرعتي
يا ربح يا حمالة السام
لا تزرعي يديك في التزلف
لانني انبك حينما يحتفل اللهب
بموته في قدمي
انا الذي ادخلته قافلتي
وحينما ارفعته ...

سميته الطفس الذي في فمه باب الفرح
وها انا يا ربح يا حمالة السام
انبعه ... الم فيه الضحك والالم
كي اعتدي مجيء الذي اريد للحياة
خبزي تشبح الرعد ..
وجه الضوء كلمة
وسرقي فراشة سفاء
لا تحفري .. لا تحفري عينيك فوق الماء
فالقاع نوامي ... سانشربك
وفي دمك ...
سافسل الخطى وامتطي ..

البعيد والبعيد والبعيد
يا وطني يا حبرتي المستكبرة
لا تحمل الدموع في يديك
فوافل الامطار في دمي
مملوءة بالعصف والمقامرة . .

والجيئة المدمرة
يا ربح يا قاهرة المسافة
لن تقلعي التاريخ من جفونك
ولو شحذت الزمن المكشوف ...

والعصا وحلة المآتم
لانني رايت اني وطني
براعما بفظاظة تنمو على العصور
عساكرا طويلة قاماتها
تقسم في الذرعها الفصول
وانني يا ربح اذ افرحت
سميت هذا الوقت اسطواته
وانت صرت فيه كالنعامة
مقلقة كجذع نخلة
حزينة كليلكة
قائلة كمولد القصيدة
يا وطني يا حبرتي البعيدة البعيدة
امشي اليك خارجي مسافر
وداخلي طريدة

عادل اديب آغا
حلب

((الثقافة العربية ٧١))

صدر الاسبوع الماضي ، العدد الثاني من مجلة « الثقافة العربية » في عهدها الجديد (حزيران ١٩٧١) . والعدد حول « الحركة الطلابية والثورة » . ومن مواضيعه : لقاء مع ليسبر قعة . نص خطاب سري القاه شارل مالك في اجتماع مغلق لمجلس شيوخ الجامعة الاميركية.

ندوة حركة الوعي . الامبراطية الثانية والولادة الطلابية الجديدة . مشاكل التعليم ما قبل الجامعي في لبنان . مقابلة مع طارق علي القائد الطلابي الباكستاني الاصل : كيف حقق طلبة المغرب وحدة النضال مع الحركة الشعبية .

مقال لارنست مندل حول النظرية والممارسة للحركة الطلابية الثورية . الحركة الطلابية في اميركا اللاتينية .

وفي العدد رسالة من تركيا تشرح الخلاف بين الحركة الطلابية ومنظمة « جيش التحرير التركي » . وشهادة للمناضل « ابو صالح » من خلية ايلول ضد المقاومة الفلسطينية . وهذا العدد تكون مجلة « الثقافة العربية » قد حققت مساهمة جدية وفعالة في اثراء فكر الحركة الطلابية ، الثورية العربية .

صدر حديثا عن :
دار الطليعة
■ الماركسية والايديولوجيا
■ قضايا المادية التاريخية
■ ماركسية ماوتسي تونغ
■ على ضوء كارل ماركس
■ مرحلة الانتقال الى الاشتراكية
■ الطريق الى الديمقراطية
■ الماركسية والدولة الصهيونية
■ حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية
■ على طريق الثورة الفلسطينية
■ بلادنا فلسطين
■ المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ – ١٩٤٨)
■ مناقشات حول الثورة الفلسطينية
■ الحركة الصهيونية واسرائيل
■ حملة ايلول والمقاومة الفلسطينية
■ الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها
■ من الذي سيتصر في فيتنام
■ حرب الانتصار
■ الانتفاضة المسلحة
■ التجربة المسلحة في البيرو
■ الاستراتيجية وتاريخها في العالم
■ ذكرى الايام الماضية
■ النوافذ التي تفتحها القنابل
دار الطليعة